والدة درويش: قبّلني وقال وداعاً

■ " شو ما قلت من كلام ما بكفي لمحمود" البلد

لم تتوقع والدة محمود دوريش أن تكون تلك قبلة الوداع لابنها الذي عاش مغترباً بعيداً عنها يلتقيها بزيارات خاطفة. فتلك الأم التي عرفها العالم من خلال قصيدة "خبز أمي" كانت طريحة الفراش منذ أكثر من سنة لكن النبأ المفجع الذي وقع كالصاعقة على العائلة استنهضها من فراشها باحثة عن كلمات ترثي فيها ابنها. " شو ما قلت من كلام ما بكفي لمحمود"، حدثتنا وراحت تستذكر آخر اللحظات التي التقته فيها :" قبل أسبوعين، جاءني محمود في المساء ولم يكن مسروراً. عانقني وقبّلني ثم أمسك يدي. قبّلها وأبلغني بانه قرر ان يجري جراحة في القلب. وقال انه جاء يزورنا قبل ان يسافر الى أميركا... بكيت ورجوته الا يذهب.. والله قد لا تصدقوني. فقد شعرت بانقباض في قلبي. خفت ورجوته ألا يجري الجراحة لكنه قال انه فكر كثيراً وقرر ان يجريها ... قرر" .

وقصيدة "خبز امي" من أبرز الذكريات التي تركها محمود لدى والدته. هي لا تذكر كلماتها ولكنها تذكر الصور التي تركتها هذه القصيدة. "كان الصحافيون يأتون الى البيت بكثرة يطلبون مني أن أخبز خبزي الذي يحبه محمود. عندما كنت أخبز، لم أكن اقصد الصورة ولكني كنت أشعر ان محمود يتذوّق خبزي".

أما سهام شقيقة محمود، فهي كانت مدللته: "كنا نتحدث يومياً وكنت أشعر أنه قريب مني، يعيش بيننا ولو أنه كان بعيداً ولم نلتقه كثيراً. عندما جاء قبل أسبوعين لوداعنا، شعرنا جميعاً أنه كان خائفاً. بقي عندنا حتى صباح اليوم التالي... قبل ان يغادر المنزل وصلنا جميعنا لنودعه. كان القلق يسيطر عليه ولم يقدر على معانقتنا وتقبيلنا كعادته. لوح بيده وغادر بسرعة. جميعنا بكينا وانتابنا شعور مقلق ومزعج... لكننا تأملنا كثيراً وحاولت خلال أسبوعين أن أكون متفائلة ولكن حزنا عميقا كان يسيطر علي ... خبر وفاته كان صدمة ولكنه لم يفاجئني".

آلاف المعزين وصلوا أمس الأول الى بيت عائلة درويش في بلدة الجديدة، المجاورة لقرية البروة المهجرة التي ولد فيها محمود درويش وهجر عنها مع عائلته العام 48، وأقامت اسرائيل على أنقاضها مستوطنة "أحيهود".

إصدار

Le Liban Pays Hors Sujets?

■ المؤلف: جميل بري
■ صدر عن: دار البراق
■ عدد الصفحات: 166 صفحة من القطع الصغير

في مقدمة الكتاب توجه المؤلف إلى قرائه وكتب: "هذا كتاب تقطر في متاهات تفكيري، وتمخضت عنه سنوات من ممارسة الجراحة في لبنان أثناء الحرب الأهلية. هو حصيلة أربع سنوات شغلتها حربان: العدوان الإسرائيلي وحرب لبنان. وفي الكتاب أيضاً تجربة غنية بالأفكار التي تولدت من مراقبة الأحداث الإنسانية والعامة. فعملي الجراحي ساعدني في التعرف إلى المجتمع كجسد، جسد يتكلم، ينطق بالحقيقة والكذب، يراوح بين الانجازات والاخفاقات، تسكنه الرفاهية والأمراض في آن. إنها نظرة نقدية ساخرة أحياناً إلى الحياة الإنسانية اليوم وبالأمس وشهادة على المجتمع اللبناني والصراع العربي-الإسرائيلي في تجربة معاشة حقاً".

محمود درويش في الصحف الإسرائيلية

لم تكن الصحف العربية والعالمية هي وحدها من تحدث عن وفاة الشاعر الفلسطيني محمود درويش أمس الأول، بل جاءت الصحف الاسرائيلية أيضاً على ذكر هذا الموضوع. في ما يلي، أبرز ما قيل في ثلاث منها.

أمال شحادة | **الناصرة**

وصف الأديب الإسرائيلي أ.ب. يهوشواع، في مقالة نشرها في صحيفة معاريف الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش أنه كان بالنسبة إلى الإسرائيليين "الصديق والخصم". ومثل يهوشواع، يرى الإسرائيليون في درويش أنه الشاعر الوطني الفلسطيني، الذي عبّر عن أماني وتطلعات الفلسطينيين ووصف حالهم خلال العقود الأربعة ونيّف الماضية. وينظرون إليه على أنه الخصم، الذي استفزهم بشعره وثقافته وعمقه، وبرغم ذلك ربط بعض أدبائهم وسياسييهم اليساريين علاقات صداقة معه. وقد تُرجم عدد من دواوين شعره إلى العبرية.

حرية شعرية

وكتب يهوشواع "أولا وقبل كل شيء، كان محمود درويش شاعراً كبيراً وامتلك عظمة شعرية حقيقية. حتى أن إنسانا مثلي، قرأه عبر ترجمات أشعاره لا باللغة الأصلية، كان في إمكانه أن يعجب بمخزون الصور والأفكار الغنية لديه، وبالحرية الشعرية التي سمح لنفسه بانتهاجها". وأضاف أن "محمود درويش هاجر من إسرائيل طواعية وأنا أسفت دائماً على ذلك. أذكره في مؤتمر تضامن عقده الشاعر الراحل يونا بن يهودا، المعروف بكنيته "ييبي"، في نهاية سنوات الستين في حيفا، مع الشعراء والأدباء العرب الإسرائيليين الذين خضعوا لأوامر اعتقال وتم تقييد تحركاتهم. كان هذا لقاؤنا الأول، وأعجبت بالقوة اللاذعة الكامنة في كلماته. وبعد ذلك، عندما علمت أنه غادر إسرائيل واللجوء، ولذلك تنقل بين مكان وآخر وتحوّل إلى اسم مهم في مؤتمرات ومهرجانات الشعر في أنحاء العالم. وعلى هذه الخلفية كان قرار يوسي سريد كوزير للتربية والتعليم، الذي قضى بشمل قصائده في البرنامج الدراسي، صحيحاً ومناسباً برغم الانتقادات ضد القرار".

وحول شخصية درويش قال يهوشواع إن "شخصيته جذبتني إلى درجة أنني وظفت ظلالها في روايتي 'العروس المُحررة'. وفيها وصفت من خلال حدث عرضي خيالي مهرجان شعر في رام الله يجري فيه حوار شعري، شاعر عربي يقرأ أمام مترجمة إسرائيلية لأشعار من العربية إلى العبرية قصائد الشاعر الصوفي من القرون الوسطى الحلاج، وهي تترجمها مباشرة إلى العبرية. وغني عن القول

> مضى من دون أن يرى اتفاق سلام

ولن يعود إليها، شعرت بخسارة، إذ بدا لي شريكاً جديراً. كان صعبا ونقدياً، لكنه جدير".

وأشار يهوشواع إلى قرار وزير التربية والتعليم الإسرائيلي الأسبق، يوسي سريد، بتدريس قصائد محمود درويش في المدارس اليهودية، وأكد أن هذا القرار كان صحيحاً ومناسباً. وكتب أن درويش أصبح بعد خروجه من البلاد العام 1972 "الشاعر الوطني للفلسطينيين، شاعر المنفى

■ كلّفه التاريخ بتأدية دور الشاعر الوطني REUTERS

> عرف كيف يسن سهامه ضد الاحتلال الإسرائيلي

إني تأثرت كثيراً خلال كتابة هذا المقطع".

وتحدث يهوشواع عن لقائه الأخير مع محمود درويش في حيفا قبل عام ونصف العام. وقال "لقد التقيت به في مقهى وتحدثنا بودٍ. أهديته نسخة من الترجمة الفرنسية لـ'العروس المُحررة'، وهي اللغة التي قرأ بها الأدب الأجنبي، وطلبت منه أن يقرأها ليرى بأي قدر من المحبة وصفته في مخيلتي، في تلك السنوات التي سبقت الانتفاضة. لا أعرف إذا كان قد قرأ أم لا. وتقت دائما لالتقائه مرة أخرى في المستقبل. وها هو قد توفى، الشاعر الذي كان لنا خصما وصديقا على حد سواء".

الأمل

واقتبس الشاعر الاسرائيلي التقدمي إسحق لاؤور، في مقالة نشرها في صحيفة هآرتس، من قصيدة درويش الأخيرة "سيناريو جاهز"، واعتبر أن "الشخصية" في القصيدة ليست شخصية تماماً، لأنه لا توجد للفلسطينيين حياة "شخصية". لكن درويش زرع فيهم الأمل بواسطة شعر محدد جداً". ورأى لاؤور أن "التاريخ كلّف درويش بأن يؤدي دوراً وهو أن يكون الشاعر الوطني".

وشدد لاؤور على أن درويش، مثلما تنقل في أماكن سكنه، "تنقل أيضا في كتاباته، مثل إعلان الاستقلال الفلسطيني الذي كتبه العام 1988 وتأبين إميل حبيبي وإدوارد سعيد وياسر عرفات. فقد تنقل بين الشعر والمقال الفكري، وبين التورية والخطابة".

ودعا لاؤور إلى أن توافق إسرائيل على دفن محمود درويش في قريته، البروة. وأشار إلى أنه "يتحدثون كثيرًا في العالم عن الاعتذار" تجاه ضحايا الاحتلال والاقتلاع والتهجير، "في أميركا وأستراليا وجنوب أفريقيا. وهنا لم يتحدثوا عن ذلك بعد. وربما في إمكان تشييع جثمان درويش إلى قريته أن يمثل بداية رحلة طويلة من التكفير عن الذنوب".

الذاكرة الفلسطينية

ولفت محرر الشؤون العربية في هآرتس، تسفي بارئيل، إلى أن "درويش لم يبخل في توجيه النقد لقادة السلطة الفلسطينية، مثلما عرف كيف يسن سهامه ضد الاحتلال الإسرائيلي والقيادة الإسرائيلية". ورأى بارئيل أن "عظمته الأساسية هي في البلورة الشاعرية الثاقبة للذاكرة التاريخية الفلسطينية وخصوصاً في ما يتعلق بقضية اللاجئين. وفي

> الشاعر الذي كان لنا خصماً وصديقاً

قصيدته الشهيرة "لماذا تركت الحصان وحيدا" أحيا العلاقة بين التهجير والآثار الحية التي أبقاها اللاجئون خلفهم وعنفوان حق العودة بواسطة رمزه، الحصان الذي بقي في الخلف، والبئر المتروكة ومفتاح البيت المهجور الموجود في جيب كل لاجئ". وخلص بارئيل إلى القول إن "درويش المريض ترك أمس الفلسطينيين وحدهم ومضى من دون أن يرى اتفاق سلام بين الشعبين".

عزت الاحزاب والشخصيات اللبنانية بمختلف اتجاهاتها بالشاعر محمود درويش. فأجرى رئيس الحكومة فؤاد السنيورة اتصالًا هاتفياً برئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس معزياً، كما وجه رئيس مجلس النواب نبيه بري برقية تعزية الى الرئيس الفلسطيني، وأصدر تيار المستقبل بياناً بالمناسبة.

مهرجانات

من الثلثاء 19 إلى الأحد 24 آب: مسرحية "عودة الفينيق".

الثلثاء 12 آب: ماتيو ونسيب الأحمدية.

السبت 16 آب: تانيا ماريا
الخميس 21 آب: وردة الجزائرية
السبت 23 آب: عبد الرحمن الباشا.